د. أنتوني ج. توماسينو، الوصايا العشر الجلسة 3: الوصية 2: لا صور

هذا هو الدكتور أنتوني ج. توماسينو، وتعاليمه عن الوصايا العشر. هذه هي الجلسة الثالثة، الوصية الثانية ممنوع الصور.

والآن سنبدأ بدراسة الوصية الثانية.

لا تصنعوا لأنفسكم تماثلاً منحوتاً. قد يبدو هذا الأمر، من بعض النواحي، واضحاً ومباشراً. ومن المثير للاهتمام أن هذا الأمر، في تاريخ الكنيسة، ربما كان الأكثر إثارة للجدل من بين الوصايا العشر من حيث معناه.

جزء من السبب هو صياغتها. هل هذه الوصية الثانية، أم هي مجرد الوصية ١ ب؟ وهذا يثير سؤالاً مثيراً للاهتمام. هل نتحدث هنا حقاً عن امتداد للوصية الأولى، ألا يكون لك آلهة أخرى، بما في ذلك الصور المنحوتة، أم أنها وصية منفصلة تنص على ألا يكون لك أصنام أيضاً؟ هذه هي الوصية الثانية بين اليهود والبروتستانت والأرثوذكس.

لا تُصنع لكم أي صور منحوتة. وتُفهم الوصية على أنها تحريم جميع الصور، وليس فقط الآلهة الوثنية. إلا أن الكاثوليك واللوثريين يختلفون مع ذلك.

يعتقدون أن هذا هو البند ١ ب، أي أنه في الواقع الجزء الثاني من الوصية الأولى. وهذا يثير تساؤلات عديدة لأنه يعني أنه لا يحرم أي نوع من صور الرب، بل صور الآلهة الوثنية فقط. وهنا ندخل في الجدل الدائر حول الأيقونات، وهل يجوز اقتناء صور الله أم لا.

هل تُنكرها الوصايا العشر حقاً؟ ثم هناك تساؤلات حول العقيدة. يرتبط السؤال برمته بما نُسميه جدل تحطيم الأيقونات، الذي نشأ منذ زمن بعيد، حيث انقسمت الكنيسة حول مسألة جواز امتلاك الأيقونات. وفي النهاية، بدا أن معظمهم قد استقر على فكرة جواز ذلك، لكنهم فعلوا ذلك لأسباب مختلفة.

لذا، فقد أثارت هذه الوصية جدلاً واسعاً. لذا، سيكون من الجيد لو أن الكلمات ساعدتنا على تحديد ما إذا كان ينبغي اعتبارها وصية واحدة أم اثنتين، وذلك من خلال لغتها فقط. لكن للأسف، الكلمات لا توضح الأمر تماماً.

لا تصنع لك تماثلاً، صورةً ما في السماء فوق، ولا على الأرض تحت، ولا في الماء تحت الأرض. لكان من الأفضل لو قالوا هنا إنها تشمل صور الله أو الرب، ولكنها لا تشملها. لا تسجد لها ولا تعبدتها، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور، أعاقب خطيئة الآباء على الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأظهر المحبة لألف جيل من محبي.

يبدو أن هذا يوحي بأننا نتحدث عن آلهة وثنية هنا. لذا، يصبح السؤال: هل نتحدث فقط عن الآلهة الوثنية، أم عن أي صور؟ في التراث اليهودي، فُهمت هذه الوصية بوضوح على أنها وصية منفصلة عن الوصية الأولى وشملت أي صور منحوتة من أي نوع. في الواقع، في عصور مختلفة من التاريخ اليهودي، فُسرت هذه الوصية بصرامة شديدة على أنها تعني عدم وجود أي نوع من الفن التمثيلي.

،وهناك أيضًا بعض المذاهب الإسلامية التي تفسرها بنفس الطريقة. ولذلك، ففي بعض المذاهب الإسلامية لا يُسمح لهم بامتلاك أي فن تمثيلي أيضًا بسبب الفهم نفسه. لذا، كانت هذه الأشياء الصغيرة هنا تُسمى أصنامًا للعين، وهو أمرٌ مثير للاهتمام نوعًا ما

لكن من الواضح أن هذه أعمال فنية تمثيلية، لكن يبقى التساؤل الأهم حول ما تمثله. وكان يُعتقد أننا وجدنا عددًا كبيرًا منها في بعض الحفريات السومرية وما شابه، وكان يُعتقد أنها تمثل آلهة

حسنًا، يعتقدون الآن أنهم لا يمثلون آلهة، بل عابدين. ويبدو أنه عندما لا يستطيع المرء الحضور إلى المعبد وقتما يشاء، كان يضع أحد هذه الأصنام الصغيرة مكانه. وكنت أتخيل، أن يكون من المثير للاهتمام أن أصعد إلى المنبر يومًا ما وأنظر إلى جماعتي وأرى مجموعة من التماثيل الكرتونية جالسة هناك؟

لا تراني، أنا هنا حقًا. لكن أجل، أعتقد أنهم لم يكونوا واثقين تمامًا بذكاء آلهتهم. لكن على أي حال، عندما تفكر في الأمر، هناك منطقٌ ما فيه

أعني، إذا كان الله موجودًا في صنم حجري، فلماذا لا يكون العابد موجودًا أيضًا في صنم حجري، أليس كذلك؟ على أي حال، ماذا نعني بالصنم؟ ما هو الصنم؟ نسمع كلمة "صنم" كثيرًا هذه الأيام، وربما نفكر في أبطال الرياضة أو المغنين أو الشخصيات السياسية التي يُقدِّرها الناس أو ما شابه. ولكن إذا تأملنا في أصل الكلمة، سنعرف أن الصنم في الواقع يشير إلى صورة إله ما. ليس مجرد شخصية مشهورة أو شيء من هذا القبيل.

لذا، يبدو ظاهريًا على الأقل أن هذه الوصية ستكون واضحة نوعًا ما. لا تُصوِّر الآلهة. ولو كان الأمر بهذه السهولة، لتوقفتُ عند هذا الحد، ولما اضطررتُ إلى التعمق أكثر

لكن الأمر أعمق من ذلك بكثير، ويتعلق بأمور أكثر بكثير من مجرد تحديد ما نعنيه حقًا بإله، أو في هذه الحالة، صنم. حسنًا، نعلم أن الأصنام ليست مجرد شخصيات مشهورة، بل هي آلهة بالطبع

تشير إلى قطع من الحجر والصخور. تنوعت أشكال الأصنام في العالم القديم. وفي الشرق الأوسط، يُعدّ شكل الإنسان من أكثر الأشكال شيوعًا

هذا هو الإله بعل، على ما يبدو. ومن المرجح جدًا أن هذه اليد كانت تحمل صاعقة. ثم لدينا آلهة مثل آلهة مصر، والتي نسميها آلهة ذات أشكال حيوانية

يمكن للأصنام أيضًا أن تتخذ أشكال رموز، كما في هذا التصوير لقرص آتون، قرص الشمس هنا، حيث تمتد يده إلى أسفل ويمنح الناس أنواعًا مختلفة من البركات الرائعة. هنا، هذا مزيج مثير للاهتمام. أنا متأكد من أننا لا نستطيع رؤيته بوضوح، لكن لدينا هنا إلهًا جالسًا على عرش

نعرف أنه إله لأن له قرونًا. لدينا رمزان هنا، يبدو أنهما رمزان للشمس، وربما نجمة، أو ربما عشتار أو شيء من هذا القبيل. وهنا، لدينا مذبح، وعليه رمز جالس

وهذا أمر شائع جدًا أن يكون هناك رموزٌ تُمثل الآلهة. وهناك سؤالٌ: هل هذا أيضًا صنم أم مجرد رمز؟ كما هو الحال في الكنائس المسيحية، لدينا المثلثات، وأحيانًا الدوائر الثلاث، أو ما شابه، رمزٌ يُمثل الله. وبالنسبة للشعوب القديمة، غالبًا ما كانت هذه الرموز تحل محل الأصنام التقليدية

ثم هناك نوعٌ من أصعبها، وهو المَسَابُوت ، وهو حجرٌ قائمٌ ، أو عمودٌ ماء، أو حتى صخرةٌ قرر أحدهم نصبها ، وتسميتها مسكناً أو رمزاً للإله . إذًا، مجموعةٌ متنوعةٌ من أشكال التمثيلات المادية المختلفة للآلهة . ولكن ،لننتقل قليلاً هنا، كما تعلمون، من الواضح أن لدينا المجسم، ودعوني أستمر، المجسم، الذي تحدثتُ عنه . ولدينا الرموز، وأخيرًا المَسَابُوت

أشجار مقدسة أو بساتين مقدسة . هذا أمر مثير للاهتمام، لأنه، كما تعلمون، يشبه صنع صنمكم الخاص . كما تعلمون، تنمو شجرة، وتعدّ رمزاً للإله ما

، طُرحت بعض التكهينات حول كيفية ارتباط هذا الأمر بمعابد الأشيرة في العهد القديم، وما إذا كانت مرتبطة ،بطريقة ماء، بأفكار البستان المقدس . لا أعلم تحديدًا . ولكن تجدر الإشارة إلى أن الأصنام أكثر من مجرد صور . وكان يُعتقد اعتقادًا راسخًا أنها تُجسّد روح الإله الذي تُمثله

في العهد القديم، في الأنبياء، لديهم سخرية من عبادة الأصنام أحيانًا، ولديهم واحدة من هذه الصور الشهيرة للحرفي الذي صنع صنمه، ثم يأخذ جزءًا من الخشب، وينحني أمامه ويقول، حسناً، يأخذ جزءًا من الخشب ويلقيه في موقده ويومئ، أه، أنا دافئ! رائع! وجزء من الخشب، ينحني أمامه ، ويقول، أوه، أنت إلهي! ليس بهذه البساطة تمامًا، ولكن، كما تعلمون، يبدو الأمر كذلك بالتأكيد من الخارج، ولكن عادةً ما كان عليهم الخضوع لطقوس معقدة للغاية من أجل جعل الصورة تمثيلاً للإله، وبمعنى ماء، كان جزء من حضور الإله يسكن داخل الصورة نفسها . عادةً، كانت هناك طقوس تُسمى "تطهير الفم"، ثم كان هناك فتح الفم، ثم تُقدم ذبائح وصلوات متنوعة، كلها تهدف إلى بناء صلة بين الإله الموجود في مكان ما وهذه الصورة الجالسة هنا في مكان ما . ويمكننا تشبيه ذلك بتقديس أيقونة، ربما، مع أنهم كانوا أكثر حرصًا عليه مما نحن عليه في أيامنا

لكن لا، لقد فرّقوا بوضوح بين تمثال لشخص، مثلاً، والصنم الذي يُمثّل الإله، ولم يكن الأمر مجرد اختلافات ،فنية، بل كان يتعلق بالطقوس والعمليات المرتبطة بها . قبل الطقوس، يكون تمثالاً، وبعد أداء الطقوس يُمكن اعتباره إلهاً

وهكذا وُضِعَ تمييزٌ واضحٌ بينهما . كان لكل إنسانٍ في العالم القديم أصنامهم، من نوعٍ أو آخر . وهذا تصويرٌ رائعٌ للمحاربين الآشوريين وهم يحملون الأصنام التي استولوا عليها من أماكنٍ مختلفة

أحيانًا تجد صورًا لأصنامٍ مُقَيّدة بالسلاسل، كما لو أنها قيّدت الآلهة نفسها . لكن لكل شعبٍ وأرضٍ أصنامهم الخاصة، وكثيرًا ما كانت تُؤخذ في زمن الحرب وتُوضع في أماكنٍ مختلفة في المعابد أو ما شابه، ليس فقط لإخضاع الشعوب ، بل لإخضاع آلهتهم أيضًا . كانت الأصنام شائعةً لدرجة أن اليونانيين، عندما واجهوا اليهود لأول مرة في عهد الإسكندر الأكبر، اندهشوا من عدم وجود أي صورٍ لديهم

في الواقع، وصف أحد الأوصاف اليونانية المبكرة لليهود بأنهم أمة ملحدين، ملحدون لأنهم لم يروا آلهة . ليس لديك صنم، ليس لديك إله، بالطبع . الآن، لم يحرم الكتاب المقدس صور الله، وأعتقد أن هذا تمييز مهم لأنه عندما نفكر في الله، كما نفعل جميعًا، كما أمل، فإننا نفكر بمصطلحات ذات توجهٍ حسّي، كما ينبغي لنا

نحن مخلوقات مرتبطة بحواسنا الخمس، فنفكر في الأشياء التي نراها ونسمعها ونشمها، وما إلى ذلك، ولكن بصرنا هو الأهم . ولذلك غالبًا ما تكون لدينا صور نستخدمها للتواصل مع الله . بالنسبة للبعض، إنها صورة الرجل العجوز ذي الشعر الأبيض الطويل، أو صورة يسوع الوسيم، أو ما شابه . وقد تحدثتُ مع بعض الناس الذين يقولون، حسناً، عندما يصلون، يتخيلون كرة كبيرة من الضوء أو ما شابه

على أي حال، أنت تتحدث دائماً عن صورة ما، وهذا ليس خطأً. فالكتاب المقدس نفسه يستخدم صوراً مختلفة لوصف الله. فلدينا صورة الله وهو يمد يده ويكتب الوصايا العشر، ويخبر موسى أن الله سيسمح له برؤية ظهره أثناء مروره.

لدينا صورة الزوج التي تُستخدم كثيراً في العهد القديم. الله هو الجبل، الصخرة. صخرتهم ليست كصخرتنا من الواضح أن هذه الصورة مصممة لتجسيد صفات معينة لله يُفترض أن ترتبط بها. توجد صور لله كأم في العهد القديم، في موضعين أو ثلاثة. لا تُستخدم هذه الصورة عادةً في العهد القديم، ولكنها تظهر فيه الله حصنٌ منيع. الصورة الأكثر شيوعاً في العهد القديم هي أن الله ملك. وهذه الصورة هي الأبرز بلا شك في كثير من النصوص النبوية وغيرها.

،وكما ذكرنا، غالباً ما تُصوّر العلاقة بين الله وإسرائيل بطرق تُشبهه إلى حد كبير علاقة الملك بأتباعه. الله، الملك العظيم. ولدينا في ملاخي، كما تعلمون، إذا كنتُ ملكاً، فأين شرفي؟ لدينا كل هذا التمثيل لله في صور. يُمكننا التفاعل معها.

. وهو مسألة تُسمى الأيقونات

وهذا، أيضاً، نقش آشوري بارز. استخدم هذا على غلاف كتاب يتناول موضوع الأيقونة تحديداً. ماذا تعني الأيقونة؟ حسناً، صورة أيقونة.

إذن، الأيقونية تعني ببساطة عدم وجود صور. ليس هذا عدلاً، لأن هذه لا تزال صورة. لكن من الواضح أنها ليست الصورة النمطية للإله، أليس كذلك؟ إنها ليست رجلاً ملتحمياً ضخماً جالساً على عرش.

ليس شخصاً بقرون بارزة من أعلى رأسه. ربما، أو لسنا متأكدين تماماً، لكن يبدو أنه قد يكون ريشة أو ما شابه، ربما يُشير إلى رمز لإله كاتب أو ما شابه، أليس كذلك؟ إذًا، الأيقونية تعني ببساطة رفض استخدام الصور في العبادة. وهذا، بالطبع، أمرٌ مثير للجدل، ليس فقط في اليهودية، بل في المسيحية أيضاً.

يبدو أن بعض جيران إسرائيل يفضلون رموز آلهتهم. وأعتقد أن الفرس خير مثال على ذلك. فكثيراً ما يستخدمون صورة قرص الشمس المجنح أو ما شابه لتمثيل إله الشمس.

أحياناً، مع ذلك، تُضاف إلى ذلك صورةً لشخصية بشرية. لكن الأمر يُمارس بالطريقتين. لم تُمثل الشعوب القديمة أو ترفض التمثيلات الرمزية.

كان لدى الجميع أصنامٌ من نوع أو آخر. وهذا ما يجعل إسرائيل فريدةً من هذا المنظور. ليس بمعنى عدم وجود أصنام لديهم، فقد كانت لديهم، بل عادةً ما لم تكن أصنامهم للرب، أو على الأقل، على حد علمنا، لم تكن كذلك.

إذن، بالانتقال إلى هذه الوصية، وبتدقيقها، عندما كان موسى يُعطي الوصايا العشر، من اللافت للنظر، بل ومن المفارقات، أن بني إسرائيل كانوا يُطالبون بالفعل بامتلاك صنم. إذًا، أعطاهم الله صورة. وقادهم بعمود من نار.

قادهم بعمود سحاب. كانت تلك صوراً يمكن للناس أن يتعاطفوا معها. صعد موسى الجبل.

الناس لا يعرفون ما يفعله هناك. أين ذهب؟ لقد غاب طويلاً. وهكذا، جاء الناس إلى هارون وقالوا: أعطنا إلهًا

أعطونا إلهًا نراه، ويقودنا إلى مصر. وهكذا، نعم، هم بالفعل بصدد انتهاك هذه الوصية الثانية هنا. هذه القضية الأيديولوجية مستمرة، وتستمر عبر تاريخ إسرائيل

لم يُؤكَّد عليها بنفس القدر الذي أُكِّد به على الآلهة الأخرى والآلهة الوثنية، ومع ذلك، فهي في الوقت نفسه مسألة مثيرة للقلق، لا سيما بالنسبة لبعض الأنبياء اللاحقين. حتى قبل ثلاثين عامًا، عندما بدأت الكتابة والبحث في الوصايا العشر، كان بإمكاننا القول إنه لم يُعثر على أصنام يُمكن القول إنها صورٌ للرب. لا أستطيع تأكيد ذلك بنفس القدر من اليقين الآن، إذ يبدو أن هناك احتمالاً لوجود مثل هذه الصور

اكتشف علماء الآثار بعض الصور المثيرة للاهتمام التي نُقبوا عنها في أنحاء القدس، وهي صور إلهية بكل وضوح، ولكن من الصعب علينا تحديد ما إذا كانت هذه الصور تمثل الرب أم لا، أو ما إذا كان هناك بعض الآلهة الوثنية التي يعبدها الإسرائيليون. وقد كشفت بعض الحفريات الحديثة عن بعض الاكتشافات والقطع، الأثرية ذات الدلالة الكبيرة. ولا تزال عبادة الأصنام مشكلة مستمرة حتى فترة الهيكل الثاني، أي بعد عام 515 عندما أُعيد بناء الهيكل

هذه بعض الأصنام التي عُثر عليها في القدس أو في بعض مدن يهوذا الأخرى. أصنام سخمت، ويز

يبدو أن ييز كان إلهًا شائعًا جدًا. كان راعي الولادة، وهو في الحقيقة قزم صغير. كان إلهًا مصريًا، ولكن عُثر على العديد من صور ييز

عين حورس. أعتقد أنها من مجدو. تبدو كإحدى قطع العاج الموجودة في مجدو، لكنها كانت أيضًا رمزًا مصريًا يُمثل الإله حورس

آنا، إلهة الأم. تماثيل صغيرة للخصوبة لآلهة مختلفة. هذا هو خنفساء بعل سيث، الذي يحمل هنا صورة حيوان وإله يقفان على ظهره، وربما صورة راکعة أمامه

عثرنا أيضًا على عدد من الجعران في القدس خلال حفريات حديثة. والجعرانين، بالطبع، رمز مصري يُمثل الحياة الأبدية. ونُقشت عليها رموز مصرية متنوعة، وما إلى ذلك

كان ذلك في زمنٍ كانت فيه علاقات بني إسرائيل بمصر وثيقة، وقد نهى الله عن هذه العلاقات في كتب الأنبياء. بطريقةٍ ما، نجد هذه التشابكات بين ملوك إسرائيل ويهوذا وملوك مصر مرارًا وتكرارًا. كانوا يتوقعون من المصريين أن يساعدوهم ويساندوهم، لا سيما في صراعهم ضد آشور

،لم تنجح مصر قط. ولكن لسببٍ ما، يبقى الأمل خالدًا. ومن طرق تعزيز علاقاتك مع هذه الممالك الأخرى بالطبع، تكريم آلهة جيرانك

من المرجح جدًا أن العديد من هذه الرموز التي نجدها هنا تُمثل نوعًا من التحالف السياسي. ولعل هذه إحدى الصور الأكثر إثارة للقلق: ختم حزقيا

يعود هذا إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويبدو أنه من عهد الملك حزقيا. ومع ذلك، نرى هنا علامة عنخ، رمز الحياة عند المصريين. ولدينا قرص الشمس المجنح عليه

السؤال، بالطبع، من يُمثل قرص الشمس المجنح هذا؟ هل يُفترض أن يكون هذا تمثيلًا للرب؟ لا نستطيع الجزم بذلك. كان حزقيا ملكًا صالحًا وفقًا للكتاب المقدس. ومع ذلك، يبدو هنا أن الأختام المستخدمة خلال حكمه تُخالف الوصية الثانية.

بالانتقال إلى ما هو أبعد قليلاً، لدينا ما نسميه ختم شاليمي، والذي يحمل أيضًا اسم اثنين من العابدين. هذا أيضًا من إسرائيل، ولدينا نص عبري هنا، نص عبري يُعرّف بالشاليمي. هنا لدينا شخصان يتعبدان، ثم هنا في الأعلى، على ما يبدو قرص القمر.

يبدو أن هذا مذبح. إذن، ختم إسرائيلي عليه نقش عبري لإله قمر وثني. وهذا ختم آخر من إسرائيل، يبدو أنه يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد.

يُصور هذا ما نُسّميه "ماسو"، وهو نوعٌ من الروح الحامية. لذا، يبدو أن بني إسرائيل قد انغمسوا في عبادة الأصنام، وعبدوا صور آلهة جيرانهم. هل مارسوا تصوير الرب؟ بالتأكيد أقل، وربما لم يفعلوا ذلك إطلاقًا. لكن لا يمكننا الجزم بأنهم لم يفعلوا ذلك إطلاقًا.

لكن ما يمكننا قوله هو أن مشكلة عبادة الأصنام في إسرائيل استمرت بالتأكيد طوال فترة العهد القديم. فلماذا حُظرت صور الرب؟ إذا كان الله قد منح شعبه صورًا ليستخدموها ويتواصلوا معه، فلماذا كان من السيء جدًا على بني إسرائيل تحويل هذه الصور إلى قطع من الحجر أو الطين أو نقوش على الجدران؟ ما الذي يجعل ذلك سيئًا للغاية؟ لم يذكر الكتاب المقدس السبب صراحةً، ولكن هناك عدد من الآيات في العهدين القديم والجديد تُقدم لنا بعض الأسباب التي تُبرر منع بني إسرائيل من امتلاك الأصنام. ونحن لا نتحدث هنا فقط عن أصنام الآلهة الوثنية.

أعني، من الواضح أن أي إله وثني محرّم بموجب الوصية الأولى. لماذا لا تُصنع أصنام للرب؟ أعتقد أن أحد المبادئ الأولى التي يمكننا الإشارة إليها هو أنه لا يمكن لأي صنم، ولا أي تمثال منحوت، أن يُنصف الرب لدينا هذه العبارة الرائعة في سفر الملوك الأول، ولكن هل سيسكن الله حقًا على الأرض؟ انظر، السموات والسماء لا تسعك، فكم بالحري هذا البيت الذي بنيته.

هنا، سليمان يُدشّن الهيكل، ويُقرّر سليمان بأن هيكله لا يتسع لحضور الله. كان المفهوم الأساسي وراء عبادة الأصنام هو فكرة أن الله سيسكن، بمعنى ما، في هذه الصخرة. وهنا يقول الملك سليمان: لا، حتى هذا البيت الضخم لا يسعكم، لأن السماوات لا تسعكم.

بناءً على ذلك، تبدو فكرة صنع تمثالٍ لله ضريبًا من الهراء. في إشعياء، الإصحاح 66، السماء عرشي والأرض موطنٌ قديمي. أين البيت الذي تبنيه لي؟ أين يكون مكان راحتي؟ كل هذه الأشياء صنعتها يدي، وأيضًا كل هذه الأمور أعلنها الرب.

مرة أخرى، تُرفض هنا فكرة وجود مكانٍ يسكنه الله ويُحدّ فيه بالهياكل المادية. الله عظيمٌ جدًا، بل كبيرٌ جدًا ببساطة، الأصنام ستُقيّد رؤيتنا لله.

القطط تُقاس في صناديق. أما الله فلا يُقاس في صندوق. والله لا يُمكن تقييده بهذه الطريقة.

إذن، هناك شعورٌ بأن هذه الصور جميعها، إلى حدٍّ ما، ستكون مُقيّدة لنا. فكّر في الأمر، وفي الطريقة التي نحاول بها تخيّل الله. ما دما متمسكين بتلك الصور بشكلٍ مُرن، يُمكننا التكيف معها.

لكن ما إن تُنقش هذه الأمور أو تُرسم على الجدران، حتى يُصبح خطر تقييدها لنا أكبر. أتذكر قصةً قبل سنوات عن طفلٍ ظنَّ صورةً ليسوع على أنها الله. كلا، لا يُمكن أن يكون هذا هو الله، لأن الله طويل الشعر.

هذه هي القيود التي ستفرضها علينا الصور إذا سمحنا لها بأن تُنقش في الصخر. وهذه بالتأكيد إحدى المشاكل، القيود التي ستفرضها الأصنام على الله. مشكلة أخرى هي إمكانية التلاعب بالأصنام

وهذا واضحٌ تمامًا من العهد القديم. وهذا جزءٌ من النقد الرئيسي الذي وجَّهه الأنبياء للأصنام: إمكانية جعل الصنم يفعل ما يحلو له. في العالم القديم، كانت الأصنام تُنزل من معابدها، وخاصةً في بعض أعياد السنة

كان يُخرجون إلى المدينة. في أحد المهرجانات، كان الآلهة يخوضون معركةً صوريةً صغيرةً لطيفة، ثم يُعاد الإله إلى ضريحه منتصرًا. كثيرًا ما يتساءل المرء ماذا سيحدث لو أسقط أحدهم الصنم المكسور

هذا سيفسد لاهوتك تمامًا، أليس كذلك؟ يُمكننا جعل الأصنام تفعل ما نُريد. وهكذا سيذهب الناس ويسكبون دمًا سائلًا أو أي شيء آخر في حلق التمثال الذي صنعوه، ولا يُبصقه الإله. آه، لقد قبل الإله هديتي

يمكنك أن تجعل الأصنام تبتسم ابتسامة عريضة وتظن أنها راضية عنك إلى الأبد. يمكنك جعل الأصنام تفعل ما تريدها أن تفعله، وأن تتصرف بالطريقة التي تعتقد أنك تريدها أن تتصرف بها. الله، بالطبع، لا يمكن التلاعب به

وهذه، بالطبع، إحدى الصور البارزة وراء أشهر حادثة عبادة الأصنام، وهي مسألة العجل الذهبي. هناك شعورٌ بالتلاعب بالرب هنا، فلماذا يصنعون عجلًا ذهبيًا ويقولون: نريد عجلًا ذهبيًا ليعيدنا إلى مصر؟ حسناً، كانت العجول تُعبد في مصر. كان ذلك شكل إحدى آلهتهم، حتحور

فها هو بنو إسرائيل يعودون عائدتين قائلين: انظروا، لدينا هنا إله مصر الذهبي. ظنًا منهم أنهم سيُرْحَب بهم في مصر لتمثالهم مع المصريين. هذا بالتأكيد تلاعبٌ من الله

وهو يتقدمهم، مما يعني، بالطبع، أنه يوافق عليهم وعلى ما يفعلونه. مشكلة أخرى. الأصنام تُجسّد تحيزات بشرية.

وهذا أمرٌ لافتٌ للنظر عند التفكير فيه. كما تعلمون، لم يُفصّل الكتاب المقدس خطأ الأصنام قط. وقد تحدّث القديس بولس عن ذلك في العهد الجديد

من الأمور التي يتحدث عنها أنه رغم أن عبادة الأصنام قد تُلهم أعمالاً فنية رائعة، إلا أن هذا لا يعني أنها تُضفي عليها جمالاً. إذا نظرت إلى صور الآلهة اليونانية، ستجد أنها ليست بديئة، وليست صلباً

إنهم جميلون. إنهم رائعون. إنهم يجسدون المثل العليا التي يحملها الناس لأنفسهم

،ونرى هذا النوع من العقلية في كثير من الأحيان، حتى في فننا اليوم، عندما يصور الناس يسوع. وللناس بالطبع، ميلٌ رائعٌ للتأمل في يسوع، وتصوير أنفسهم على أنهم مثاليون. يُذكرنا هذا بمقولة ألبرت شفايتزر عندما قال إن من يبحث عن يسوع التاريخي يشبه من ينظر في بئر عميق، وما يراه هو انعكاسه

هذه هي الطريقة التي يتعامل بها الناس كثيرًا مع صورة الله، أي أنهم يريدون إسقاط أفكارهم وقيمهم عليه. هل الله أبيض أم أسود؟ لا، عليك الاختيار. إذا كنت ستُكوّن صورةً متماسكةً عن الله، فعليك الاختيار

هل الله قوي؟ هل هو جبار؟ هل هو فنان؟ هل هو ذكراً؟ هل هو أنثى؟ هو؟ أنثى؟ على أي حال، عليك الاختيار. وفي كل حالة، تختار تجسيد الله في قيمة أو صورة تعتبرها ذات قيمة لديك. عليك أن تحب ثور. أليس كذلك؟ ثور يجسد نوعاً ما الروح التي كان الفايكنج يقدرونها أكثر من غيرها.

ستجسد الأصنام قيمنا. أما الله، فسيجعل شعبه يجسدون قيمه. ولذلك لا يمكنك أن تثبت صورتك عن الله في حجر.

فلنتحدث قليلاً عن التاريخ مجدداً. ماذا حدث للأصنام؟ سقوطها. حرم الملك يوشيا، بين عامي 640 و 609 قبل الميلاد، الأصنام في إسرائيل.

لكن لسوء حظه، مات شاباً، ولم تعش إصلاحاته بعده. كان ابنه منسى مشهوراً بعبادة الأصنام. وهكذا، وفقاً لإرميا الإصحاح الثاني، الآياتان 26 و 27، كما يخجل اللص عند كشفه، كذلك سيخجل بيت إسرائيل.

هم، ملوكهم، رؤسائهم، كهنتهم، أنبيائهم، الذين يقولون للشجرة: أنت أبي، وللحجر: أنت ولدتي. من الواضح أن إرميا يصور الوضع الذي يراه يحدث من حوله، حيث أصبحت التماثيل الخشبية والحجرية بدائل للرب في إسرائيل. إذاً، هذه ليست مجرد آلهة وثنية نتحدث عنها هنا.

نحن نتحدث عن صور الرب. ولهذا السبب أعود وأقول إنني أعتقد أن الوصية الثانية لا تتحدث فقط عن الصور الوثنية، بل عن صور الرب أيضاً، لأن هذا ما تُدينه. تسببت عبادة الأصنام في دمار أورشليم، وفقاً لحزقيال 6 و 8. ويتحدث حزقيال عن جميع الصور البغيضة التي كان الناس يعبدونها في هيكل أورشليم.

الآن، عندما نصل إلى فترة الهيكل الثاني، بعد إعادة بناء الهيكل بعد عام 515 قبل الميلاد، ربما كان لدينا بعض الإغراء لعبادة الأصنام بين مجتمعات الشتات، كما ذكرت سابقاً. ولكن يبدو أنه لم تكن هناك مشكلة عبادة الأصنام في يهوذا، مرة أخرى، حتى بدأت الإصلاحات الهلنستية حوالي عام 170 قبل الميلاد، عندما اعتقد بعض الناس أنه من المصلحة السياسية لهم إقامة ما سُمي رجسة الخراب في هيكل القدس. لذا، من اللافت للنظر أن الرعب الذي يتحدث به سفر دانيال عن تلك الحادثة في سفر المكابيين أيضاً، جعلهم يدركون أن هذا كان غريباً جداً عن تجربتهم في ذلك الوقت، وأنه لم تكن هناك أصنام ولا صور في إسرائيل في ذلك الوقت.

نشهد الآن تحولاً في اليهودية خلال فترة الهيكل الثاني. ففي عهد يسوع، ساد نوع من الهوس بهذه الوصية الثانية، لدرجة أن الفن التمثيلي عموماً بدأ مرفوضاً. كانت الشمعدانات من الزخارف الفنية الشائعة، لكن خلال تلك الفترة، اختفت الصور البشرية تماماً.

خلال هذا التصوير، اندلعت أعمال شغب في القدس بسبب نسر حاول الرومان نصبه أمام الهيكل، فطالب الناس بهدمه. واندلعت أعمال شغب أخرى عندما دخل بعض الجنود الرومان إلى القدس حاملين راياتهم التي تحمل صور حيواناتهم المفضلة. عندما بنى هيرودس الكبير هيكله، حرص بشدة على عدم تضمين أي فن تمثيلي، لأنه في ذلك الوقت، كان أي شيء يصور حيوانات أو بشر يُعتبر انتهاكاً للوصية الثانية.

تذبذب هذا التوجه بين الصعود والهبوط، فبعد مئات السنين، عادوا إلى تبني الفن التمثيلي، ولدينا بعض هذه الفسيفساء الرائعة التي عُثر عليها في معابد يهودية تعود إلى القرن الرابع الميلادي، والتي تُصوّر رموز الأبراج، وغيرها. لذا، تغيرت هذه التوجهات مع مرور الزمن. فالأنماط الهندسية، والزخارف النباتية، ومرة أخرى الشمعدان ونجمة داود، أصبحت رموزاً شائعة تُستخدم في الفن، ولكن لم تعد صور البشر، ولا حتى الحيوانات.

قد تتساءل في هذه المرحلة، هل هناك سوء فهم جوهرى هنا لهدف الوصية الثانية؟ صُممت الوصية الثانية لمنعهم من صنع صور للآلهة والأصنام، ومع ذلك فهم يرفضون هنا أي نوع من التصوير على الإطلاق وأعتقد أنه يمكنك، كما تعلم، إذا أردت قراءة الكلمات حرفياً، ألا تصنع لنفسك تمثالاً منحوتاً، لا مما في السماء من فوق، ولا مما على الأرض من تحت، ولا أي من الحيوانات، إلخ. إذا أردت قراءة هذه الكلمات حرفياً، بالطبع يمكنك القول إنه لا يُسمح لك باقتناء أي صور لأي حيوان، حتى لو لم تكن تعبد.

لكنني أعتقد أن الدلالة واضحة تمامًا، فنحن نتحدث عن الأصنام، صور العبادة. لذا، يبدو لي أنهم خلال هذه الفترة أصبحوا متشددين بعض الشيء في تطبيق الوصية الثانية. حسنًا، ماذا عن الكنيسة؟ هذا أمر مختلف تمامًا، أليس كذلك؟ ففي الكنيسة، أصبحت الصورة، ومسألة الأيقونات، واستخدام الصور في العبادة محل جدل كبير.

ولم يذكر يسوع الوصية الثانية قط. تحدث بولس عنها، لكن من الواضح أنه كان يتحدث عن صور الآلهة الوثنية. ويبدو أن هذا هو المقصود أيضًا في رسالة يوحنا الأولى، حيث يُطلب منا الابتعاد عن الأصنام.

لكن الأصنام دخلت الكنيسة عن طريق... هيا يا صغاري، ابتعدوا عن الأصنام، أجل. وفي رسالة رومية، إذ زعموا الحكمة، صاروا كالجاهلاء، واستبدلوا مجد الإله الخالد بصور تُشبه الإنسان الفاني والطيور والحيوانات والزواحف. وهذا لا يعني فقط الآلهة الرومانية، التي كانت على شكل بشر، بل أيضًا الآلهة المصرية.

لكن في الكنيسة، نرى أن فن الأيقونات بدأ يكتسب مكانته في القرن الثالث الميلادي تقريبًا. من المحتمل أن الصور كانت موجودة قبل ذلك، لكننا لا نعلم. لطالما انتقد قادة الكنيسة استخدام الأيقونات.

لكن هذا لم يكن صوتًا بارزًا في الواقع حتى العصور الوسطى. حدث جدل تحطيم الأيقونات، أو ما يُسمى أحيانًا بحرب الأيقونات، في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية. وأحيانًا نشهد حوادث مختلفة.

أطلق على أول أيقونة اسم "تحطيم الأيقونات"، وقد حدث بين عامي 726 و787 ميلاديًا. أما التحطيم الثاني للأيقونات، فقد حدث بين عامي 814 و842 ميلاديًا. وهناك نظرية تُرجح أن المسيحيين ربما تأثروا في هذا الاتجاه بالمسلمين، الذين يرفضون، بطبيعة الحال، أي صور على الإطلاق.

وهكذا، ظهرت في الكنيسة فصائل عارضت بشدة استخدام الأيقونات. لكن هذا التحطيم للأيقونات ترك أثره الواضح على المسيحية، مع أن التحطيم للأيقونات، أي الحرب على الأصنام، رُفض في نهاية المطاف واعتنفته الكنيسة الأرثوذكسية. وقد أحيى البروتستانت لاحقًا روح وحجج محاربي الأيقونات، واستمرت في تشكيل العديد من أفكارهم.

لذا، فإن السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا عند التفكير في الأصنام هو: هل من الممكن أن يحدث المسيحيون أحيانًا هذا الخلط، بين صورة الله والشيء الحقيقي؟ هل يمكن أن نُصبح مهووسين بصورنا لدرجة، أنها تُصوّر الله على صورة الصورة، بدلًا من أن نسمح لله بتكوين صورنا عن الرب؟ لقد عرفتُ، بالطبع العديد من المسيحيين من مختلف التقاليد، وكثير منهم يستخدمون الأيقونات في العبادة. بعض أعز أصدقائي يستخدمون الأيقونات. ولكن مع ذلك، لا بد لي من القول إنها تُثير قلقي، ليس بالضرورة لأنني أعتقد أنها تُخالف الوصية الثانية، بل بالأحرى مبادئ الوصية الثانية، مبادئ أن الله أعظم من أن يُحصر في صورة صلبة أو شيء من هذا القبيل.

أعتقد أن هذا المبدأ لا يزال وثيق الصلة بنا. وأخشى أن استخدام الصور قد يحدّ من رؤيتنا لله. لذا، لا بأس من وجود صور لله.

من الواضح أن الكتاب المقدس يُزودنا بصورٍ كثيرة عن الله يُمكننا استخدامها. تكمن المشكلة، بالطبع، في ترك هذه الصور تترسخ في أذهاننا، فعندها نُصبح محدودين ونُقيد فهمنا لهوية الله وكيفية عمله. عندما نترك هذه الصور تترسخ، يُصبح هناك دائمًا خطر أن تحل محل الرب الحقيقي.

حقيقة أخرى يجب أن نضعها في اعتبارنا هي أن الكتاب المقدس يسمح بصورة واحدة لله، بل يؤيدها. وهذه الصورة هي، بالطبع، صورة الإنسان. خلق الله الإنسان على صورته.

لقد كان معنى هذا التأكيد محل جدل كبير، بالطبع، على مر العصور. أما مشاعري الشخصية، فربما لن أعمق فيها هنا، لأني سأتناول آراءً مثيرة للجدل، ولن أتمكن من شرحها بالتفصيل في بضعة دقائق. بل يكفي القول إن الكتاب المقدس يؤكد أن البشر هم صورة الله.

كيف يتجلى الله في هذا العالم؟ يتجلى الله في هذا العالم من خلال البشر. ويؤكد يسوع هذا بالطبع عندما يقول لأتباعه: "كيف تقولون: أروني الآب؟ إن رأيتموني فقد رأيتم الآب." "كان يسوع إنسانًا كاملًا في هيئته البشرية الكاملة.

يقول: لقد رأيتم الآب. لقد جسّد روح الله، بالطبع، كما لم يستطع أي إنسان آخر. ومع ذلك، إذا حاولنا التقليل من شأن إنسانيته وقلنا: حسنًا، نرى الله في لاهوته، لا في إنسانيته، فهذا يُرسي أساس الهرطقة.

هذا تقسيمٌ للطبيعة الإلهية للمسيح إلى طبيعة بشرية وطبيعة إلهية. وقد رفضته الكنيسة واعتبرته بدعة. إنه طبيعة واحدة في المسيح.

هو إلهي، إنساني، وإلهي. وفي كماله نرى الله متجليًا. وهكذا، يُصوّر لنا يسوع في ذاته ملء الله.

وهو، بالطبع، لا يزال حاضرًا. يقول يسوع لأتباعه، تلاميذه، إننا جسده. نحن جسد المسيح، ما زلنا هنا في العالم.

لا نُقدّم خدمةً لله على أكمل وجهٍ بسكب القرابين أمام صورة، بل نُقدّم خدمةً لله على أكمل وجهٍ بإطعام جيراننا وكسوتهم. إن صورة الله التي ينبغي أن نُقدّرنا تقديرًا عظيمًا ليست شيئًا يُمكننا وضعه على رفوفنا.

بل إن صورة الله التي ينبغي أن نعترف بها أشد الاعتزاز هي تلك التي تظهر على وجه الفقير في الشارع، أو الجار الغني، أو رجل الأعمال، أو اليتيم، أو النادلة. تلك هي صور الله التي ينبغي أن نُكرمها. وبخدمة جيراننا، نُساهم في تجسيد الروح التي يريدنا الله أن نتحلى بها، روح العبادة وروح الخدمة.

لا علاقة للأمر بتلك الصور، تلك التصاوير، تلك الصور التي قد تُشكّل بؤرًا لعبادتنا. إن أعظم عبادة يُمكننا إظهارها، وأعظم طريقة لرؤية صورة الله، هي البحث عن تلك الصورة في جيراننا الذين يُشار إليهم في الكتاب المقدس، صورة الله.

هذا هو الدكتور أنتوني ج. توماسينو وتعليمه عن الوصايا العشر.
هذه هي الجلسة رقم 3، الوصية رقم 2: لا صور